الأساس الأنطولوجي لهرمينوطيقا الوجود عند مارتن هيدغر

The Ontological basic of hermeneutic being by heidegger

إيناس كريبش*
جامعة الجزائر2 (الجزائر)، inesskribech@gmail.com

Ines Kribech*
University of Algiers 2 (Algeria)

تاريخ الاستلام:2021/07/30 تاريخ القبول:2021/11/02 تاريخ النشر:2022/01/15

ملخص:

تعد مسألة الهرمينوطيقا من أهم المسائل التي اهتم بها هيدغر في تفسيره لمشكلة معنى الوجود ،و سواء تعلق الأمر بتقويض التاريخ الميتافيزيقي أو بمسألة فهم التجربة الإنسانية داخل العالم، فإن ذلك لا يمكن إلا من خلال الأنطولوجيا بوصفها الطريق الهادي لتأويلية النص الفلسفي، و عليه فإن هدف هيدغر الأساسي لا يتعلق بما هو عرضي و إنما يُعنى بالمساءلة عما تخفيه الأنطولوجيات السابقة التي من شأنها أن تغيّر المسار الفلسفي لمفهوم الوجود المؤول الذي تجسده اللغة بوصفها الملكة المتميزة التي يستطيع الكائن من خلالها أن يفكّر في الوجود.

الكلمات المفتاحية: الأنطولوجيا، الوجود، الميتافيزيقا، الهرمينوطيقا، اللغة.

Abstract:

The question of hermeneutic is one of the most important questions that Heidegger has been interested in explaining the problem of the meaning of existence. Whether it is to undermine metaphysical history or to understand the human experience within the world, this can only be achieved through ontology as the guiding path to the interpretation of the philosophical text. Heidegger's fundamental is not about what is episodic but about accountability for what the previous ontology hides that would change the philosophical course of the conception of interpreted existence embodied in language as the distinct queen through which the being can think of existence.

Keywords: Ontological, Existence, Metaphysical, Herminotica, Language.

* المؤلف المرسل.

1.مقدمة:

تعد مسألة الأنطولوجيا الهيدغرية من المسائل الهامة في الفكر الغربي المعاصر التي سحبت معها مقولات عدة ارتبطت أساسا بمُساءلة الكائن عن كينونته ومصيره، لكن لكي نفهم هذه الكينونة وانحجابها وجب التفكير مع هيدغر داخل الموجود الميتافيزيقي الذي أخذ حيّزا كبيرا في تاريخ الوجود المنفتح على موجودات العالم منذ اليونان إلى فلاسفة العصر الحديث، ومن ثمة الكشف عن المسكوت عنه في التاريخ القبلي ليصبح السؤال متعلّقا في الحقيقة بالوجود كمقولة أساسية في الفكر الهيدغري في علاقتها بمقولة اللغة كطريق هرمينوطيقي يعبُر من السؤال عن "ما هو" الوجود إلى السؤال عن "من هو" الكائن المخوّل له طرح التساؤلات المتعلقة بالموجود و الوجود معا.

إن السؤال الذي سنحاول البحث فيه يتعلق بالأساس الذي بموجبه استطاع هيدغر تأويل الوجود الكاشف عن لامفكر الفكر ،و مدى تحقيقه لفهم السؤال وسط المسلّمات السابقة التي أعلت من الموجود على حساب الوجود، بل البحث عن: كيف ساهمت الهيرمينوطيقا في الكشف عن تموضع الدازاين اليومي داخل تجربة الوجود-في-العالم بما هي تجربة أنطولوجية بحتة؟ من أجل ذلك لا ينفك هيدغر من العودة إلى المفاهيم القديمة محاولا قلبها لصالح مقولته الأنطولوجية، وهو الوضع نفسه الذي جعلنا نتخذ من المنهج التاريخي التحليلي، المُقارن في بعض جهاته، ذريعة للوصول إلى الكشف عن خبايا القول داخل تجربة الفكر.

1. الموجود بما هو تاريخ الميتافيزيقا الغربية:

تنطلق مناظرتنا للحقبة الموصوفة بـ"تاريخ الميتافيزيقا" من التفكير في الوجود بما هو موجود، إلى الإفصاح عن ذلك المفقود في الورقة الميتافيزيقية أي"الطرح الوجودي الخالص" للمسألة التي وقعت في طيّ النسيان.و عليه فإن ((المهمة الأساسية للفلسفة تكمن في أنها تتحدى و توجّه السؤال للوجود التاريخي هناك-في-العالم)) (مارتن هيدغر، 2015، صفحة 30)، ذلك السؤال الذي يعني استحضار ما تم تجاوزه في الفلسفات السابقة، أي أن البحث يتعلق بـ"الموجود" بمفهومه التقليدي الذي استحال مع أفلاطون من صورة مادية إلى صور و ماهيات عقلية تتوضح من خلال سيادة المثال(مثال الخير) على اللاتحجّب ((فحينما أحال المعرفة إلى مشاهدة للمثل،إنما أراد الإشارة إلى شيء فضّل السكوت عنه،و هو تخلي الحقيقة عن خاصية اللاتحجب الأساسية،لتصبح –نتيجة خضوعها لنور المثال-صحة نظر(إدراك)،و في هذا تحول لموضع الحقيقة الذي لم يعد الموجود نفسه،و إنما العقل الإنساني بوصفه موضع النظر والتعقل)) (martin heidegger, 1968, pp. 152-154)

فكّر "أرسطو" بدوره في ماهية الحقيقة بما هي أليثيـا، من جهة سؤاله عن الوجود بما هو موجود بوصفه يملك خاصية "الإبانة" أي "الإظهار"و"الحضور"، و هو ما يؤكده بقوله: ((الوجود هو ما يكون بذاته أظهر الأشياء، ولكن ما هو بذاته أظهر الأشياء هو الأقل ظهورا بالنسبة لنا، أي من حيث طبيعة معرفتنا السائدة أو من حيث توجه هذه المعرفة، وإن ما نعتبره الأشد ظهورا هو الموجود الذي ندركه في كل لحظة)) (مارتن هيدغر، 1995، صفحة 95) وفي الحقيقة، فإن هيدغر يستثني أرسطو من دائرة التقويض، ذلك أن الخطأ كله يرجع إلى المنطق التقليدي الذي لم يفهم أرسطو الذي كان له أثرا بارزا في درك الفرق الأنطولوجي بين الكينونة والكائن ، أي علة الإختلاف، ويستثني كانط الذي لامس تأويل الكينونة بفلسفته النقدية التي صوّب فيها نظره باتجاه "قدرة العقل"، وعليه كان السؤال الميتافيزيقي متعلّقا بالسؤال المشروع: ((كيف يمكن للميتافيزيقا كاستعداد طبيعي أن تكون؟ أعني كيف تنبثق الأسئلة – التي يطرحها العقل المحض على نفسه والتي يندفع، بفعل حاجته الخاصة، إلى الإجابة عنها قدر الإمكان- من طبيعة العقل البشري بعامة)) يقول كانط (كانط، صفحة 53)

لقد ظلت الميتافيزيقا- بما تحمله من غياب للكينونة- متغاضيةً عن الوجود الأصيل، ولهذا أصبح البحث عن طرق جديدة لقيادة العقل أمراً لازماً ومشروطاً، وعن طريق الشك المنهجي، كشف ديكارت عن الوجود المحتجب وراء الموجود كـ"ذات مفكرة" ،يقول ديكارت: ((إن الفكر صفة تخصني، هي وحدها لا تنفصل عني ،أنا موجود، ولكن كم من الوقت؟ أنا موجود مادمت أفكر، فإذا انقطعت عن التفكير ،انقطعت عن الوجود انقطاعا خالصا..وما هو الشيء الذي يفكر؟ إنه شيء يتصور و ينفي ويريد و يتخيل ويحس أيضا)) (Descartes, 1951, pp. 183-184) وبهذا المعنى يصبح الوجود تابعا للفكر أو الأنا، بل إن الوجود يعادل الفكر ويتطابق معه، لكن إذا كان ديكارت في الفقرة (6) من "التأمل الثاني" الخاص بتعريف "الإنسان العاقل" قد طرح فكرته عن " cogito ergo sum " انطلاقا من فكرة اليقين (Certitude) فإن هيدغر قد ربط تعريفه بـ"الحيوان القادر على الكلام"، وهو ما يفترض مسبقا فهم "ماهية الإنسان" انطلاقا من "مدلولية" الكلام ضمن براديغم اللغة – وهو ما سنوضحه لاحقا- و بمجاوزة هذا الطرح يكون هيدغر قد تساءل عن الشيء الذي بموجبه تكون الكينونة حاضرة في علاقتها بالكائن الذي لا ينفك يسأل، بحيث ((تشير أبرز أصول الأنثروبولوجيا التقليدية، نعني التعريف اليوناني والخيط الهادي اللاهوتي، إلى أنه ما وراء تعيين ماهية الكائن "إنسان" إنما يبقى السؤال عن كينونته منسياً، بل إن هذه الكينونة متصوّرة بوصفها "مفهومة بنفسها" في معنى "الكينونة القائمة في الأعيان"(das Vorhandensein) التي من شأن بقية الأشياء المخلوقة)) (مارتن هيدغر، 2012، صفحة 124)

تكتمل الميتافيزيقا مع نيتشه و في اكتمالها بداية لطور جديد ميتافيزيقي متميّز ،خاص بفكر الذاتية أي "إرادة القوة" التي بموجبها رأى ((أنه داخل الإنسان الذي يعيش تجربة الحياة الأرضية، يوجد إنسان آخر يفصح عن نفسه، إنه الإنسان الأعلى، وهو لا يستطيع أن يشكل من نفسه إلا شذرات توحي بكلية حياته ضمن الأرضي الذي يحتفي بالجسد)) (رودولف شناينر، 1998، صفحة 212) و عليه فالميتافيزيقا قد بقيت مع نيتشه محكومة بإرادة القوة أو الإنسان الأعلى الذي ارتبط بالموجود التي همّشت الوجود على حسابه، ما جعل هيدغر يعيد طرح سؤال معنى الوجود بطريقة مستجدة تقوم على ما تمّ نسيانه سابقا، و عليه فإن الوجود من منظور أفلاطون ورؤيته للحقيقة كلاتحجّب ، وتفكير ديكارت في الأنا المفكرة و حتى نيتشه و فكرته عن الإنسان الأعلى لا تكفي للوصول إلى المعنى الحقيقي للوجود، ذلك أن البحث داخل دروب الوجود بالمعنى الهيدغري يستدعي الوقوف عند "القفزة" بما هي "طريق" لفهم كينونة الإنسان يقول هيدغر: ((القفزة وصول مباغت إلى المجال الذي انطلاقا منه و على الدوام كان قد بلغ الإنسان والكينونة أحدهما ماهية الآخر: هكذا يتملّك أحدهما الآخر بفضل أعطية وحيدة مشتركة.إن الولوج إلى مجال هذا التملّك هو الذي أضفى منذ البداية نبرة خاصة على تجربة الفكر و طبعها بمحدداته.)) (مارتن هيدغر، 2015، صفحة 35)

2.الوجود بما هو الأساس في علاقته بكينونة الدازاين:

يتجلى الفهم الهيدغري للوجود من خلال تحليله لإمكانات الدازاين التي بموجبها يستطيع الموجود- هناك الولوج داخل العالم، والانفتاح على الكينونة كتواجد وتخارج (être ouvert a) ذلك ((أن التواجدEk-sistance..هو التعرض لتكشف الموجود من حيث هو كذلك)) (M.Heidegger, 1948, pp. 85-86) ومن ثمة يكون التواجد هو ما يحيل الموجود لنور الوجود الكاشف عن الوجود الحقيقي للدازاين الذي يملك إمكانية الانفتاح في الوقت الذي ينصت فيه إلى ما هو ماثل أمامه في الوجود من خلال "الحرية" التي تمكنه من التخارج و بموجب ذلك تصبح ((الحرية- مع هيدغر- هي الهبة أو الانصراف إلى انكشاف الموجود بما هو كذلك، والتكشّف نفسه يحافظ عليه

ويُصان في الهبة المتخارجة، وبفضل هذه الهبة (أو هذا الانصراف و التوجه) يكون انفتاح المفتوح أي يكون الهناك ما يكون عليه)) (Ibid, p. 85)

إن الدازاين –كموجود مرتبط بالوجود– يتصادم في حياته اليومية بـ"الهُم الذي يكشف عن علاقة اجتماعية بين كينونات وجودية تحاول رسم طريقها في الوجود المنفتح على الأدوات الموجودة في العالم علما أن ((الكشف Erschliessen عند هيدغر أو "الانفتاح" يتم بإدراك الموجودات داخل العالم في ضوء اهتمامنا المستبصر، فالوجود–في–العالم يتميز بما لديه من قدرة على تفهم العالم تتيح للآنية الانفتاح على الموجود...وليس العالم الذي نهتم به سوى " العالم المنفتح"،و به نكتشف الطبيعة المحيطة،و تصبح في متناول أيدينا،و تؤلف بذلك شبكة ينكشف فيها العالم في الشمول الأنطولوجي لعناصره)) (صفاء عبد السلام جعفر، 2000، صفحة 133)

لا ترمي أنطولوجيا هيدغر إلى مجرد خطاب تجريدي في إرساء معالم الكينونة ،بل هي دعوة للتفكير في إعادة بناء الصرح الإنساني على أرضية أنطولوجية جديدة تقوم على فهم الدازاين لوجوده في العالم منفلتا بذلك من قبضة التفسير الابستيمولوجي إلى مفهوم أنطولوجي يُعنى بالأفق اللغوي الذي من شأنه الكشف عن المحتجب الوجودي ،يقول هيدغر:((إن الفكر يحقق علاقة الوجود بماهية الإنسان،وليس ما يحققه الفكر إلا تجربة الإنارة و الصمود لها و التعبير عنها باللغة.عندئذ تصبح اللغة هي"بيت الوجود" أي الكائن الذي تتجلّى فيه الإنارة تجلّياً أصيلاً،بينما تظل في العادة خافية أو منسية)) (مارتن هيدغر، 1977، صفحة 199)

3.اللغة بوصفها مقام الوجود النهائي:

يبدو أن البحث في ثنايا العلاقة بين الموجود و الوجود لم يعد كافيا بالنسبة لهيدغر لاستجلاء معنى الوجود،مما أدى به إلى تغيير مساره الفكري و توجيهه صوب مساءلة اللغة من حيث هي المصباح الذي ينير و يضيء الحقل الوجودي ، و بموجب ذلك يصبح الإنسان لا يتكلم اللغة، بل هي التي تتكلم من خلاله و تستنطقه بواسطة الكلمة، يؤكد هيدغر على ذلك بقوله: ((في الحقيقة إن اللغة هي من يتكلّم و ليس الإنسان، إن الإنسان لا يتكلّم إلا بقدر ما يكون مناسبة لكلام اللغة)) (M.Heidehher, 1976, p. 61) و الكلام من حيث هو كذلك يكشف عن إقامة الدازاين بالقرب من الوجود في العالم، و هي إقامة بموجبها يتحوّل السؤال عن الشيء الموجود إلى بنية لغوية زمانية ذلك أن ((الكلام هو في ذات نفسه زماني، من جهة أن كل كلام على..عن..و نحو..إنما يتأسس في نطاق الوحدة الوجدية للزمانية)) (مارتن هيدغر، 2012، صفحة 604)

يصبح الإنصات لتكلم اللغة و الاستجابة لنداء الوجود ضرورة ملحة في الفكر الأنطولوجي من أجل إماطة اللجام عن ذاك المنكشف و اللامتحجب بما هو واقع أمامنا، و تصبح كل علامة هي إشارة ينكشف من خلالها جانبا من الوجود.هنا يتساءل ديريدا: ((ماهي العلامة؟..لايمكن القفز على هذه الإجابة أو تجاوزها إلا إذا قمنا بشطب صيغة السؤال نفسها، و بدأنا بالتفكير بأن العلامة "هي" ذلك "الشيء" غير المسمّى بوضوح، و الوحيد الذي يفلت من السؤال المؤسس للفلسفة ما هو...؟)) (جاك ديريدا، 2000، صفحة 119) و بذلك ترتبط العلامة بالشيء الذي بموجبه يكون الشيء شيئا(أداة) ،و تكون اللغة متعلقة بظهور الشيء ولاتحجبه، ذلك الظهور الذي ارتبط بـ"الأليثيا" اليونانية عند فلاسفة الإغريق، والتي بموجبها يفكّر هيدغر في اللغة كـ"حدوث" لحقيقة ما هو موجود في الكينونة، أو ما يعبّر عنه بـ "Ereignis" و فيه يسير تاريخ الوجود من الكلمة "أليثيا" إلى "اللوغوس" الذي يُنقّل بموجبه الوجود من التحجّب إلى اللاتحجّب و من التستّر والخفاء إلى الظهور و الاستجلاء. ولذلك كانت ((الحقيقة هي كشف و انفتاح، وهي مكوّن أساسي للوجود – في– العالم، ولا يمكن فهمها إلا من خلال التركيب الأساسي للآنية، التي هي في

ماهيّتها فهماً أو تفسيراً للوجود، ولذلك كانت الحقيقة تبعاً لتفسير "الوجود والزمان" تصوراً هيرمنوطيقياً)) (صفاء عبد السلام جعفر، 2000، صفحة 76)

إن حقيقة الوجود إذن تتعلق بما يحدث داخل "العهد" بوصفه الرابطة الأساسية بين الدازاين ووجوده في العالم باعتباره الخطوة الأساسية لبدء سيرورة الوجود التاريخية، و بذلك يجد هيدغر نفسه منقادًا للكشف عن اللغة من حيث هي بيت الوجود ومسكنه ،و بشهادة أوتو بوقلر : ((تكون سنة 1936 هي اللحظة الحقيقية لما سمّي بالمنعرج Die kehre الذي قاده من طريق "الأنطولوجيا الأساسية" إلى طريق "تاريخ الوجود"))(Otto Poggler, p. 263)

وعليه فإن التفكّر داخل دروب الاختلاف الأنطولوجي قد أفضى إلى الكشف و التنقيب داخل منعرجات الفكر الغربي من أجل الوصول إلى فكر جديد يُعنى بتوضيح معنى الوجود و حقيقته انطلاقًا من "التفكير المؤسس الماهوي" الذي يبحث عن "حقيقة الماهية" بدل "ماهية الحقيقة".مثل هذا البحث يستمد خطوطه الأولى من البنية الزمانية لواقعة الكلام، التي تمهّد بدورها الطريق إلى اللغة ((هذا الطريق لا يكون محدّد المعالم منذ البداية،بل إنّه ينفتح مع كل خطوة من خطوات التفكير والتساؤل وهو لا ينتهي بنتائج يتوقف عندها التفكير و التساؤل ،بل يفتح آفاقًا جديدة لهما،وأثناء الطريق تتغيّر المفاهيم والتصورات ،بل يتغيّر المتسائل ذاته)) (مارتن هيدغر، 2002، صفحة 244)

لا تعني اللغة عند هيدغر تلك التي تتعلق بالطرح الألسني كوسيلة للتعبير و فقط،و إنما اللغة التي يقصدها هيدغر تتعلق بالإضاءة و انفتاحها على الوجود و يؤكد ذلك بقوله: ((إن اللغة ليست فقط وسيلة للفهم و التعبير ،بل على العكس من ذلك، فهي تحضر قبل كل موجود l'étant بوصفه موجوداً في الانفتاح dans l'ouvert)) Beda) Allmann, 1959, p. 139) لكن المتعمّق في مسألة اللغة يكتشف أن هناك صمت داخلي يطال الموجود ويحجبه عن الظهور في العالم ظهورا كافيا ،و هو ما سيحمل هيدغر إلى سحب ذلك المتحجب إلى الحاضر بواسطة "الكلمة الشعرية" التي بواسطتها يسكن الإنسان في العالم، فوحدهم ((الشعراء يستطيعون بحسن اختيارهم للألفاظ أن يقيموا معايير الوجود الإنساني ومقاييسه)) (مارتن هيدغر، 1974، صفحة 24) وبهذا،يصبح الشعر ليس كلاما يُقال و فقط، بل هو القول الذي ينكشف بواسطته كل شيء، بل هو بداية التكلم الأول للغة،ليُصبح بذلك "القول الشعري" هو الشكل الأوّلي للفكر. وعليه لا يكون الشعر مجرّد تشكيل لغوي أو صورة جمالية فحسب،و إنما هو المجال الذي تتحقق فيه ماهية اللغة من حيث هي قول و كشف و إظهار،هنا يُخبرنا هيدغر بأن ((الشعر لا يتلقى اللغة كمّادة يحدث فيها عمله، و تكون في متناول يده،تحت تصرفه،بل على العكس، الشعر هو الذي يبدأ فيجعل اللغة ممكنة)) (مارتن هيدغر، 1974، صفحة 15)

4.المنعرج الهرمينوطيقي بوصفه أفق تأويلية الوجود:

تتجه أنطولوجيا هيدغر في نهاية المطاف نحو تجاوز الموروث الميتافيزيقي والكشف عن الوجود من خلال "الهرمينوطيقا" بوصفها طريقة كينونة خاصة بالوجود الإنساني دون سواه. و عليه لا تنفك الكينونة تظهر برداء الوجود، ولا يقدر الدازاين أن يلمح جميع "ما هو كائن"، فيكتفي بإظهار متجلّيات الأشياء القريبة من عالمه الواقعي، وعليه فإن الأنطولوجيا مع هيدغر ترتد من مستوى الموجود إلى الوجود إلى الكينونة لتعود مرة أخرى إلى الموجود الذي هو الدازاين نفسه، ذلك أن معنى الكينونة و الأنطولوجيا عامة تحتاج إلى دازاين يفهم الموجود في كليّته، وبموجب ذلك، فإن هيدغر يدعو الأنطولوجيا إلى نحو من "الانقلاب" (der Umschlag) ضمن الموجود بما هو موجود إلى الموجود في كليّته، بل إن الأمر يتعلّق بطريقة التعامل مع الأثر الفلسفي للفكر الأنطولوجي من جهة، و القراءة التأويلية لمختلف المعارف المفهومية للفلسفات السابقة على نحو يُمكّننا من وضع الإمكانات الأنطولوجية لتلك القراءات في قالب يتيح للأسئلة

المطروحة عن الوجود، و العالم، و الكينونة،...أن تنجلي ضمن إمكانية القول الفلسفي المتجدّد، وأن نفهم النص الذي نحن بصدد تأويله، معناه أن نتجاوز عن قالبه التأويلي المسبق إلى "ما لا يحتويه" أو "ما لم يفكر فيه بعد"، ذلك أن ((الهرمينوطيقا هي ذلك المجال المعني بفك رموز الأقوال التي تنتمي إلى أزمنة و أمكنة و لغات مختلفة، دون أن يفرض عليها المرء مقولاته هو أو تصنيفه وتفكيره المسبق المتعصّب)) (عادل مصطفى، 2007، صفحة 31)

بموجب ذلك، تعتبر الهرمينوطيقا مرسى الوجود الدازايني الذي بموجبه ينتقل الفكر نحو براديغم تأويلية اللغة بوصفها منعرجا حاسماً في إخراج حقيقة الوجود من دائرة الميتافيزيقا التقليدية إلى الأفق التأويلي الذي ((استلزم المنعرج بموجبه أن يتحوّل موضوع الفهم من اللغة إلى الماوراء- لغوي ،و من علاقة التواصل الخطية إلى فضاء عمقي يخرج بالدلالة من ثنائية الدال و المدلول إلى البحث في مدلول الدال و مدلول المدلول. وعند ذلك يتولّد تاريخ جدلي للتأويل بأن يتنزّل الميتا- لغوي ضمن استراتيجية فكر فلسفي جديد)) (إبراهيم أحمد، 2008، صفحة 128) حيث يقوم ذلك الفكر على استراتيجية "عقل لغوي تأويلي" لا يخرج عن تأويل نص الكينونة المرتبط بفهم وجود الدازاين، ولما كانت اللغة هي جوهر الصوت الداخلي القادر على تمثيل الفكر كلاماً، كانت اللغة تمظهرا للروح (الكينونة)، بل إنه ((ليس ثمة فاصل بين اللغة والروح، هما أمر واحد ذو وجود داخلي من جهة، وتجلّ خارجي من جهة أخرى، (لكن) العلاقة بينهما ليست علاقة نتيجة بسبب بقدر ما هي علاقة تطابق، فاللغة هي الإنتشار الحر للقوى الروحية للإنسانية)) (الكلاني، 2016، صفحة 380)

ضمن هذا التوجه، يتأمّل هيدغر في مفهوم "الإختلاف" من خلال الكشف عن "الكلمة الشعرية" بما هي تأسيس للوجود اللغوي، فالشعر ليس مجرد مقولة تُقال عبثاً، وإنما هو القول الذي يفصح عن "الشكل الأولي" للفكر ولما هو حادث في العالم، يقول هيدغر: ((الشعر تأسيس للوجود بواسطة الكلمة..والوجود لا يكون أبدا هو الموجود، ولكن نظرا لأن الوجود وماهية الأشياء لا يمكن أبدا أن ينتجا فحسب، ولا أن يشتقا من الموجود المعطى سلفا، إنه من الواجب أن يخلقا و يوضعا ويعطيا بحرية، وهذا العطاء الحر هو التأسيس)) (M.Heidegger, 1962, p. p52) وهو ما يؤسس للكشف عن الإختلاف بين الوجود والموجود، العالم والأشياء، الأرض والسماء، ومنه الكشف عن معاني الإشراق والنور بدل معاني التحجّب والخفاء. هنا يقيم هيدغر الفارق بين الإنتاج الفني والإنتاج التقني الذي أظهره من خلال مفهومه عن "الأرض" التي يعزو إليها ما كان يعزوه الإغريق للفيزيس(الطبيعة)،يقول هيدغر:((الأرض هي ما لا يعرف الجهد ولا العناء ولا الإرغام على فعل شيء ما، فالإنسان التاريخي يبني فوقها وفيها سكنا في العالم، فالعمل الفني يقيم العالم، وهو ينتج الأرض)) (هيدغر، 2003، صفحة 65) هذه الأرض نفسها هي التي هيأت لعقلنة الواقع ودفعت الفكر إلى البحث عن إمكانات جديدة تجد هالتها في الماهية القشتالية للعالم التقني من حيث هو إرادة الإرادة الخاضعة لتحولات تاريخ الوجود الحديث.

تصبح المسألة الهرمينوطيقية مع هيدغر طريقة من طرق الكينونة التي تتحدد لغويا من خلال انخراط الدازاين في الوجود المؤسس على إنفتاحة الأرض و السماء، وبذلك ((تُصبح الهرمينوطيقا أو "التفسير"عند هيدغر عبارة عن عملية تأمّلية بل وحتى شعرية في الاستماع و منح الصوت لظهور الكينونة اللغوي)) (دايفيد جاسير، 2007، صفحة 147) ومن ثمة، فإن المشكلة التي يريد هيدغر قلبها تتعلق بالمعرفة التقليدية و ما تحمله من لوغوس، و الانتقال بها إلى طريق التأويل بدل تلك المقولة الكلاسيكية التي مجّدت ميتافيزيقا الذات، ليبزغ فجر براديغم جديد للغة يكون فيها الدازاين كائنا تأويليا بالدرجة الأولى أكثر منه كائنا عاقلا، وبذلك تصبح مهمة هيدغر الأساسية هي ((محاولة تغيير براديغم التفلسف بالانتقال من "عقل مركز على الذات" إلى عقل يجد موقعه في اللغة)) (فتحي المسكيني، 2005، صفحة 11) مثل

ذاك الانتقال هو ما جعل هيدغر يفكر داخل "براديغم الأنا أفكر" ثم "براديغم الوعي" ليخلص إلى "براديغم اللغة" الذي انتهى معه إلى فكر المنعرج الهرمينوطيقي المنفتح على تأويل النصوص ومواجهتها من أجل "الفهم"، وإن كان ((فهم الدازاين للوجود مشروط بتوضيح الدازاين في ضوء فكرة الكيان، أي معنى الوجود الذي يخصه، وذلك يعني بعبارة حادة: فهم الوجود مشروط قبلا بفهم الدازاين، وفهم الدازاين مشروطا قبلا بفهم الوجود)) (المرجع نفسه، صفحة 276)، وهنا يكمن الدور الهيرمينوطيقي للمسألة الأنطولوجية المتعلقة بفهم الدازاين (الكائن) وفهم الوجود (الكينونة).

يبدو أن هناك تحولا حاسما وجذريا يطال خطاب هيدغر الفلسفي الجديد يتعلق بمجاوزة علاقة الفصل بين الذات والموضوع يقوده إلى الانخراط بلا هوادة في لغز الحداثة وما تحمله من أزمات علمية من شأنها أن تعصف بالعالم الحقيقي وبكل مفهوم حداثي أصيل يحاول هيدغر إبراز خلفياته ضمن ذاك الإطار التفكيكي للذاتية التقليدية (عقل، إرادة، وعي..)، لتصبح الحداثة محض مقولة ميتافيزيقية متأخرة لم تفي بوعدها في تحقيق "فكر الأنوار" وإنما أسقطت العالم في شباك "العقلانية التقنية"، أي أنها أسقطت الفكر في دور خانق يستدعي الانتقال من سؤال الـ"ما" إلى السؤال عن "من" و مكنوناتها الأصيلة التي في أفقها تحدّد المنعرج الهرمينوطيقي للنص التاريخي للوجود بحيث ((يتحدد جوهر التاريخ انطلاقا من الوجود بوصفه إشراقا و ظهورا و إنتشارا، انطلاقا مما يظهر أمامنا و يختفي في الوقت نفسه، الظهور والانحجاب هما فعل واحد و ليسا فعلين متمايزين)) (مارتن هيدغر، 1995، صفحة 69) و لا يمكن درك هذا الاختلاف إلا عن طريق الدازاين وحده الذي يؤول هذا الحدث من خلال وجوده في العالم و استنطاقه لغويا، وإلى أن يستنفذ الاستنطاق كل إمكانياته، نكون بحاجة إلى العود التاريخي الذي يجرّنا إلى مرحلة البدء الأولي لوجود الموجود و الوجود معاً، ليكون السؤال متعلّقا – بالأحرى– بمساءلة التراث من حيث هو الأرضية الصلبة التي يستعيد بموجبها هيدغر سؤاله عن الوجود من عدمه، و وجود الموجود بما في ذلك الوجود الإنساني على هيئة دون أخرى، وعليه فإنه ((مهما كان – يقول هيدغر– ما حاولنا أن نفكّر به، و بأيّة طريقة نعرض له، فإننا نفكر في جوّ التّراث، فالتراث يوجّهنا عندما يحرّرنا من الفكر الامتثالي، ليعلّمنا أن نفكّر إلى أمامنا، مما لا يعني أن نضع خططاً، عندما يلتفت تأمّلنا إلى ما سبق التفكير فيه، عندها فقط نكون في خدمة ما بقي على الفكر أن يفكّر به)) (مارتن هيدغر، 1988، صفحة 42)

5.اتجاهات الهيرمينوطيقا ما بعد المنعرج الهيدغري:

يقوم التحليل الفلسفي في الغالب على الحوار باعتباره أسلوبا جادا للإطلاع على العلاقات الكامنة وراء تفكير ما، فحين طرح هيدغر سؤال "متى نتفلسف؟" كان جوابه ((يبدو أن هذا لن يتحقق إلا بدءا من اللحظة التي نعقد فيها حوارا مع الفلاسفة)) (هيدغر، الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية، 1998، صفحة 41) و ذلك لأنه (الحوار) الأساس في منح النص الفلسفي بعدا أنطولوجيا تفسيريا بموجبه ينفتح النص على نوافذ الفكر الآخر.لكن إذا أردنا أن نقيم ذلك الحوار فحقيق بنا أن نسأل عن الوجهة التي اتخذها "الأساس" بعد المنعرج اللغوي؟

إن ما يمكن اعتباره مقولة أساسية في الأنطولوجيا الهيدغرية يتعلّق بالكينونة في علاقتها بالكائن، تلك العلاقة التي حصرها هيدغر في "الفهم"باعتباره محدّدا لكينونة الدازاين دون الوقوع في خلط الكائن بكينونته و دون الوقوع في الميتافيزيقا التي جاهد هيدغر في تخطّي مقولاتها، إلا أن الاختلاف بين الكائن والكينونة حسب "ليفناس" ما هو إلا إختلاف بين الكينونة كفعل و الكائن كاسم ،ليكون بذلك فعل الكينونة هو فعل الكون في "لا كليّته"، يقول ليفناس في هذا: ((نتكلّم عادة عن الكلمة كينونة كما لو أنها اسم، إلا أنها فعل بامتياز، في الفرنسية يمكننا القول

الـ كينونة l'être أو كائن une être مع هيدغر انبثق من جديد أصل الكلمة كفعل و هو بذاته حدث)) (E.Levinas, 1982, p. 28) و على إثر "فعل الكينونة" ذلك الحدث الذي بقي طي النسيان في الفكر الغربي، يتجه ليفناس إلى البحث خارج الكينونة أي نحو الآخر القريب من الأنا، و عليه فـ "الآنية" في حياتها اليومية، غالبا ما تتصادم في تجربتها مع ما يسميه هيدغر بـ"الوسطية" التي بموجبها ينفتح الدازاين على الآخرين، بحيث تكون "الوسطية" أو "الوجود المشترك مع الغير" – بما هو مقام أنطولوجي – إنكشافا لوجود الآخر.

تنم العلاقة المشتركة بين الأنا و الآخر على أن الآخر ليس وحيدا من حيث أن وجوده المشترك يعني أن هناك حوارا و تأثيرا و تأثّرا بالآخر، و هو الأمر الذي لم ينكره ليفناس في أنطولوجيا هيدغر، لكن ترجيح كفة الوجود على حساب الموجود هو ما يرفضه ليفناس ويسعى إلى تجاوزه بالإيتيقا التي تضع سؤال الإنسان في المقام الأول، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي نبني معه علاقتنا الإيتيقية باعتباره "وجها" يقول ليفناس: ((العلاقة مع الوجه هي ذات بعد أخلاقي بالدرجة الأولى، فهو ما لا نتمكن من قتله،إنه بإمكانه أن يقول لي على الأقل العبارة التالية:"لن تتمكن من قتلي"))(Ibidp. 81) و عليه فلكي يثبت ليفناس وجود الغير فمن الضروري أن نتعامل معه لا باعتباره شيئا بل باعتباره وجها حيث التقاء الذات بالغير، فمعرفة الغير تستلزم إدراكه في سياقه الذي يستمد منه معناه و بهذا المعنى فالوجه هو الدلالة الإيتيقية التي من خلالها تتحدّد طبيعة العلاقة مع الغير.

إعتنت الهيرمينوطيقا الهيدغرية بالقالب الوجودي للنص و حمايته من التأويلات العشوائية التي من شأنها أن تحيد عن إستظهار الحقيقة، لذلك كان التفاعل بين القارئ و النص و المؤول تفاعلا مشروعا لفهم جوهر وعمق النص ليصبح الرهان الهيدغري متعلقا بالبحث داخل الحلقة الهرمنوطيقية التي تبحث بين طيّات الـ"من" و مكنوناتها الأصيلة بدل الـ"ما" فارغة المحتوى، وفي أفق المنعرج تتحدّد النصوص باعتبارها تجربة هرمنوطيقية يكون فيها الإنسان كائنا تأويليا بالدرجة الأولى يقول ريكور في هذا المعنى: ((إني لأرى هذا التأويل العام كمساهمة في هذه الفلسفة العظمى للغة، التي نعاني اليوم من نقصها، فما نحن اليوم سوى هؤلاء البشر الذين يمتلكون منطقا رمزيا و علما تفسيريا وأنثروبولوجيا وتمثيلا نفسيا ، و الذين هم للمرة الأولى ربما قادرون على أن يتناولوا الخطاب الإنساني بوصفه مسألة واحدة)) (ريكور، 2005، صفحة 47) لتمتد الوحدة الخطابية مع كل ممارسة إنسانية لتطال اللغة الفوكوية التي أخرجها (فوكو) من مفهومها التعبيري الألسني المتعلق بالذات إلى البنية الزمانية للغة الخارجة من وعي المتكلم، وهو ما يؤكده بقوله: ((إن الزمن هو بالنسبة للغة نمطها الداخلي و ليس مكان ولادتها)) (فوكو، 1990، صفحة 99)

يلتقي القول الهيدغري من جانب آخر مع هابرماس الذي أقام فكره على "فعل التواصل" الذي يخص التفكير الإجتماعي، و بذلك ((الدعوة إلى تحويل الماهية إلى فاعل "أنا متكلم"..دون نسيان أن الحياة الشخصية عامرة في أحد جوانبها بالهو والليبدو، ومن الجانب الآخر عامرة بأدوار إجتماعية: إن الذات لا تنتصر أبدا)) (تورين، 1988، صفحة 276) إلا متى تمكنت من الكشف عن الحقيقة في ماهيتها بما هي حركة تزمنية داخل اللغة، وعن طريق العودة إلى الأصل (الأساس) حيث السؤال عن "البدء الأول" مُتاحاً، يمكن التأسيس لإنتشار ما يحقق "نداء الوجود"، هكذا ((ونحن نتابع طريقنا – يقول هيدغر– أصبحهذا المبدأ الذي هو بمعنى الإفصاح عن شيء ما، أصبح بالنسبة لنا بمعنى القفزة: قفزة تنطلق من الكينونة باعتبارها أساسا للموجود نحو الهاوية، نحو اللاأساس، ومع ذلك ليست هذه الهاوية عدماً فارغاً، وعلى الأرجح ليست غموضاً مبهماً، بل هي التملّك المتبادل نفسه، ضمنه وفي خضم نبضه يتم الإحساس بماهية ما يتحدث إلينا كلغة، مثل هذه اللغة سميناها في يوم ما "مقر الكينونة")) (مارتن هيدغر، 2015، صفحة 39) .

خاتمـة:

على إثر تحليلنا السابق، يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج التي نبينها في النقاط الآتية:

1.إن تاريخ الميتافيزيقا لم يكن كافيا بالنسبة لهيدغر من أجل استجلاء مشروعه عن معنى الوجود الذي طواه النسيان في تلك الحقبة من التفكير، حيث لم يخرج عن نطاق الموجود، وإن تعددت المسميات بين "الذات"و"السلب"و"الإرادة" و"الوعي" فإن المعنى لا يطال الكائن الجديد (الدازاين) الذي سخّر كل ما هو كائن من أجل انفتاحه على كينونة الوجود. من أجل ذلك وضع هيدغر كل تأمّل معرفي موضع تساؤل أنطولوجي ينتقل بموجبه السؤال المنطقي "من يفهم" إلى سؤال تأويلي يتعلق أساسا بمسألة "المفهومية" التي تنجلي أمام الدازاين كعلامة أنطولوجية خاصة بالوجود في العالم كتجربة هيرمينوطيقية.

2.إن الثقافة التقليدية لم تعمل على إظهار الكينونة بما هي أساس سؤاله عن الوجود، بقدر ما قامت بحجبها عن الظهور، فكانت النماذج الميتافيزيقية ما هي إلا ثرثرة فارغة من المحتوى، بالمقابل قدّم هيدغر مفهوما تأويليا جعله يتجه إلى الهيرمينوطيقا التي بموجبها انعطف السؤال عن طريق الأنطولوجيا إلى طريق آخر يُعنى بمُساءلة براديغم اللغة بما هي لغة شعرية من شأنها أن تُجاوز تلك الثرثرة اليومية وتتجه صوب إظهار المستقبل.

3.لقد كان غرض هيدغر من خلال طرحه لسؤال الوجود هو ربطه بالعالم المعيش الخاص بالدازاين، وهو ما أوضحه في تجربة "الوجود –في–العالم" التي كشفت عن الرابطة الوظيفية لكينونة الكائن (الدازاين)، وهو ما يعني سحب الأنا التقليدية من سؤال الـ "ما؟" إلى سؤال الـ "من؟" الذي ضم سؤال الكينونة والهُم من حيث انخراطهما ضمن الوجود في العالم، فلا عالم الروح ولا الأنا المفكرة قادرة على تبني السؤال الوجودي في أصله وأساسه.

4.يبقى السؤال حول مدى إمكانية تحقيق هيدغر لتلك المجاوزة الميتافيزيقية سؤالا مطروحا، لأن هيدغر نفسه لا يرمي إلى تقديم إجابات عن سؤاله ،بقدر ما يُعنى بإبقاء دروب الفكر مفتوحة على أسئلة جديدة لم يشملها تفكيره بعد، من شأنها أن تُحدث تغييرا فكريا في مستقبل الفلسفة،كما تبقى هرمينوطيقا الوجود مساهمة هامة كشفت عن تجربة الدازاين اليومي في الوجود و إمكاناته الفريدة التي بموجبها يتموضع في العالم ككائن فريد من نوعه.

5.لا يُعنى هيدغر بتقديم إجابات على الأسئلة المطروحة بقدر ما يهتم بالسؤال ذاته، وهو ما يضطره في كل مرة إلى إعادة مساءلة النصوص الفلسفية الكبرى، وقد لا نجانبه الصواب إذا قلنا أن ثمة "ثورة هيرمينوطيقية" تشبه "الثورة الكوبرنيكية" التي أحدثها كانط في تاريخ الفكر، بالمقابل يتخطّى هيدغر السؤال الإستفهامي إلى ما من شأنه أن يمكّن الكينونة من رسم طريقها الخاص داخل العالم ليصبح السؤال متعلّقا بسؤال "الراهن" الذي يخص الكائن المنتمي إلى الوجود، الوضع الذي دفع بهيدغر إلى الإنتقال من الأنطولوجيا إلى الهيرمينوطيقا، والإنشغال بمسألة اللغة بما هي مُقام أساسي لحركية الوجود وتأويلاته.

قائمة المصادر و المراجع:

1.مارتن هيدغر،(2015)، مدخل إلى الميتافيزيقا،تر،عماد نبيل، دار الفارابي،بيروت،لبنان.

2.ـــــــــ،(2012)،الكينونة والزمان،تر،فتحي المسكيني،مرا،اسماعيل المصدق،دار الكتاب الجديدة المتحدة.

3.ـــــــــ،(1995)،مبدأ العلة،تر،نظير جاهل،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت.

4.ـــــــــ،(2015)،الفلسفة الهوية والذات،تر،محمد مزيان، تقديم، محمد سبيلا، مكتبة الفكر الجديد.

5.ـــــــــ،(1977)،نداء الحقيقة،تر،عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

6.ـــــــــ،(2002)،كتابات أساسية ج2،تر،اسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

7.ـــــــــ،(1974)،في الفلسفة والشعر،تر،عثمان أمين،الدار القومية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1.

8.ـــــــــ،(1974)،ما الفلسفة؟ما الميتافيزيقا؟ هولدرلين وماهية الشعر،تر،فؤاد كامل ومحمود رجب،مرا،عبد الرحمان بدوي،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،ط2.

9.ـــــــــ،(1988)،مبدأ الهوية،فريق الترجمة والمراجعة في مركز الإنماء القومي،مجلة العرب والفكر العالمي،العدد الرابع،مركز الإنماء القومي،لبنان.

10.ـــــــــ،الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية،تر،فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، 1998 .

11.ـــــــــ، أصل العمل الفني،تر،أبو العيد دودو،منشورات الجمل،ط1، 2003.

12.كانط،(نقد العقل المحض،تر،موسى وهبة،مركز الإنماء القومي،لبنان

13.رودولف شناينر،(1998)، نيتشه مكافحا ضد عصره،تر،حسن صقر،دار الحصاد للنشر والتوزيع،دمشق،ط1.

14.فتحي المسكيني،(2005)،نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإله الأخير،مركز الإنماء القومي،بيروت.

15.صفاء عبد السلام جعفر،(2000)،الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر،منشأة المعارف،الإسكندرية،ط2.

16.عادل مصطفى،(2007)،فهم الفهم،مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1.

17.إبراهيم أحمد،(2008)،أنطولوجيا اللغة،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،ط1.

18.دايفيد جاسير،(2007)،مقدمة في الهيرمينوطيقا،تر،وجيه قانصو،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،ط1.

19.جاك ديريدا،(2000)،الكتابة والإختلاف،تر،جهاد كاظم،توبقال،الدار البيضاء.

20.ميشال فوكو،الكلمات والأشياء،تر،مطاع صفدي وآخرون،مركز الإنماء القومي،بيروت،1990.

21.آلان تورين، نقد الحداثة،تر،أمور مغيث،المركز القومي للترجمة،القاهرة،1988.

22.بول ريكور،صراع التأويلات،تر، منذر عياشي،دار أويا،طرابلس،2005.

23.أحمد شاكر الكلابي، الهوية والإختلاف، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية(العدد السادس والعشرون)،مركز الكتاب للنشر،القاهرة،ط1، 2016.

باللغة الفرنسية:

1. M. Heidegger, (1948), De l'essence de la vérité, approche de l'allégorie de caverne et du théétète de platon,traduit et introduction par A.de Waelhens et W.Biemel, Nauwelarts, Vrin, Louvain, Paris.
2.————————————, (1968), Questions 2, ,tr,Kostats Axelos,Jean Baufret,Dominique Janicaud,Lucien Braun, Michel Haar,André Préau, François Fédier,édition Gallimard, Paris.
3.———————————— ,(1976), Questions 3 et 4,traduit de l'allement par J.Beaufret ,F.Fédier, J.Hervier, J Lauxerois, R.Munier, A.Préau et C.Roels ,Tel Gallimard, Paris.
4.————————————, Approche de Hölderlin, tr, Henry Corbin, Michel Deguy, et autres, édition Gallimard, 1962.
5. E. Levinas, éthique et infini, libraire arthene fayard, France, 1982.
6. Descartes, (1951), Discours de la Méthode, Union générale d'édition.
7. Otto Poggler, La pensée de Martin Heidegger, éditions ellipses,paris.
8. Beda Allemann, (1959) Hölderlin et Heidegger, tr François Fédier, Presses universitaires de France, 1ere édition.